

نشأة القصة في المملكة العربية السعودية

د. عبد الوحيد شيخ*

تلعب الصحافة دورا بارزا في تطوير الفنون الأدبية، وقد كان الشعر منذ العصر الجاهلي سيد الأجناس الأدبية في البلاد العربية، ولم تظهر فنون أخرى إلا بعد انتشار التعليم ونشأة الصحافة وذيوع الترجمة، تلك الترجمة التي حدثت في العالم العربي بسبب الاتصال بين العرب والغرب، وكان لهذا الاتصال تأثيره في نقل الفنون الغربية إلى البلاد العربية، ومن تلك الفنون فن القصة بأنواعها الثلاثة: القصة القصيرة والقصة والرواية.

"والقصة القصيرة هي التي تكتب في صفحة أو صفحتين وتعالج حدثا صغيرا في مساحة لا تسمح بتعدد الشخصيات إلا بقدر ما يحتمله هذا الحادث".

والقصة تتكون عادة من فصل واحد. وإذا تعددت فصول القصة وطالت سميت رواية" (١).

وقد كانت القصة معروفة في المجتمع السعودي على هيئة قصص وقائع العرب وأيامهم وحكايات الأسمار والسير والملاحم والقصص الشعرية والمقامات وقصص الأمثال وقصص القرآن، وقد كان يصاغ على منوال هذه القصص قصص شعبية يتسامر بها الناس في البيوت والمقاهي" (٢).

لم تلق القصة القبول والتقدير من المجتمع في أول الأمر بل اعتبرت وسيلة من وسائل التسلية لا ترقى إلى مستوى الفن. ولكن ظلت الصحف والمجلات مثل "أم القرى"، و"صوت الحجاز" و"المنهل" تولي القصة اهتماما كبيرا وخاصة مجلة المنهل فإنها اهتمت بالقصة اهتماما بالغا منذ تأسيسها فقد ألف صاحبها عبد القدوس

* الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا أوتني بورة

الأنصاري أول رواية بعنوان " التوأمان " وأصدرها عام ١٩٣٠م، وقد كتب على غلافها " أول رواية صدرت بالحجاز"، و"لكن سبقه إلى كتابة القصة عبد الله آشي لما كتب " على ملعب الأحداث" عام ١٩٢٦م" (٣) وهذا يدل على وجود إرهاصات أولية في كتابة القصة في المملكة قبل الأنصاري الذي ألف " التوأمان"، وقد أدرك الأنصاري باعتباره قاصا أمرين مهمين لهما علاقة بالقصة الأولى أن القصة لون من ألوان الأدب العالمي المعاصر والثاني قصور مستوى الأدباء السعوديين عن الركب العالمي في هذا الفن . وهذا الشعور من الأنصاري جعله يفتح صفحات مجلته لكتاب القصة لممارسة كتابتهم وتطوير أدواتهم فكان لها دور رائد في تطوير هذا الفن.

وقد مر المجتمع السعودي بأحداث تاريخية قبل توحيد المملكة، ثم استقرت البلاد بعد توحيدها فانتظمت الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وازدهرت الحياة الثقافية بفضل طموح الأدباء والمثقفين واتصالهم بالبيئات الثقافية الأخرى، كل هذه الأمور ساعدت على ظهور فن القصة القصيرة في الأدب السعودي الحديث. وقد أسهم عدد من الوافدين في تأسيس فن القصة القصيرة في المملكة، وقدم هؤلاء الوافدون من البلاد الإسلامية واطلعوا على الفنون الأدبية الحديثة في بلادهم منها القصة القصيرة التي أعجبوا بها فحاولوا كتابتها، وقد أثمرت هذه المحاولات ثمراتها الطيبة حيث لم تقم الحرب العالمية الثانية إلا والقصة القصيرة فن أدبي معروف في المملكة، وله كتابه المعروفون وكان من هؤلاء الوافدون الجزائري أحمد رضا حوحو، والأفغاني محمد عالم، وبعد الحرب العالمية الثانية فقد أولت الصحف اهتمامها بالأدب وخصصت فصولا للقصة وعقدت المسابقة لكتابها تشجيعا لهم على اقتحام أقلامهم في هذا الميدان وهكذا صارت القصة القصيرة لونا أدبيا شائعا مقروءا(٤) .

وكانت الفترة التي بعد الحرب العالمية الثانية فترة انتقالية للقصة القصيرة، وإن كان كتابها لم يتقنوا أصولها وقواعدها في هذه الفترة، وفي النصف الثاني من القرن العشرين حدث تغير كبير في المجتمع السعودي وأثر ذلك في كل جوانب حياة الإنسان

السعودي. وكان الاقتصاد أهم عامل لهذا التغيير وخاصة بعد اكتشاف النفط، فقد خرج المجتمع السعودي من حالة الفقر والضييق إلى حالة الرخاء والترفة بهذا الحدث التاريخي العظيم.

تقول الدكتورة الفوزية: "وقد عاش الأدباء بحساسيتهم الفنية تلك التغيرات كما عايشوا أحداثاً تاريخية بعينها كهزيمة ١٩٦٧م، وحرب ١٩٧٣م، فتأثروا بالظروف المحلية والعربية وتشكل وجدانهم وفكرهم وذوقهم وثقافتهم على نمط يختلف عما كان عليه جيل الرواد الأوائل إذ انتقل جيل الشباب إلى بيئات أخرى، فنظروا إلى مجتمعهم من خارجه، وقارنوا بينه وبين غيره من المجتمعات التي اكتسبوا علومها وأدائها ولغاتها وعادوا إلى مجتمعهم وهم أكثر خبرة ودربة وانفتاحاً وكان جيل القصاص الشباب أمثال إبراهيم الناصر وحمزة اليوقري ومحمود عيسى المشهدي وغيرهم أكثر دراية بأصول كتابة القصة القصيرة وتقنياتها. وقد التقطت حساسيتهم أبعاد التغيير الذي طرأ على بيئتهم فزودتهم بمادة قصصية غنية، ولذلك امتزجت قصصهم التي صوروا فيها البيئة المحلية بعناصر فكرية وفلسفية اكتسبوها من ثقافتهم الجديدة المنفتحة على قضايا العصر. فبرزت في قصصهم موضوعات الغربة والاعتراب وقسوة المدينة وتحجر عواطف أهلها، ونموذج الإنسان المادي الأناني الذي يحرص على مصلحته الخاصة، كما تناولت قصص الجيل الجديد قضايا العمال والشباب والمرأة". (٥).

والقصة في شكلها الجديد وتطورها الحديث قد مرت بأدوار وأطوار حتى وصلت إلى صورتها المعاصرة و" الرواية فن جديد على المملكة العربية السعودية، جاءت من أوروبا في القرن العشرين، ولم تأت مباشرة ولكن من خلال مصر ولبنان حيث تم نقل الكثير من الروايات والقصص القصيرة التي ترجمت من الإنجليزية والفرنسية إلى اللغة العربية" (٦).

ولم تكن الرواية في أول أمرها رواية فنية ولكنها عبارة عن سرد القصص والحكايات تهدف إلى الإصلاح للعادات والتقاليد الاجتماعية وقد شهدت الرواية

حضورا لافتا للانتباه في العقدين الأخيرين من القرن العشرين في الكم والكيف حيث
كثرت إصدار الروايات وتتابع مع التطور النوعي للسرد الروائي في هذا العصر.

وإذا أردنا أن نقف على شيء من التفصيل لبداية القصة السعودية وتطورها
فلا بد أن نقسم الحديث عن هذا الموضوع إلى مرحلتين (٧): المرحلة الأولى تبدأ من
تأسيس المملكة العربية السعودية إلى نهاية الحرب العالمية الثانية (١٣٥١هـ-١٣٦٥هـ،
١٩٣١م-١٩٤٥م)، والمرحلة الثانية تكون بعد الحرب العالمية الثانية إلى وقتنا الحاضر.
أما المرحلة الأولى فقد ظهرت فيها القصة القصيرة مثل قصة رازم، التي كتبها
محمد حسين العامودي، ونشرها عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٥م)، وهي قصة يتيم تربى في بيت
خاله، ولكنه اضطر إلى ترك هذا البيت عندما توفي خاله ثم لم يطب له المقام في بيت
خاله بسبب المعاملة السيئة من قبل زوجة خاله له، وقد كان رازم تلميذا مجتهدا فإنه
نزل ضيفا في مدرسته في القسم الداخلي وواصل دراسته حتى أصبح طبيبا وافتتح
عيادة طبية بعيدة عن قريته وفي إحدى الليالي جاءه غلام، وطلب منه أن يذهب معه
لإنقاذ مريضة في بيته، فلما حضر رازم إلى بيته فوجئ بأن المريضة هي أرملة خاله
ولكنها كانت في حالة الاستحضار فلم يستطع رازم علاجها، ولكنه كفل ابن خاله وأنفق
على تعليمه من ماله حتى صار طبيبا مثله.

ولا يستطع القارئ تحديد نوعية هذه القصة ولكنها سميت قصة قصيرة لصغر
حجمها مع أنها تشتمل على سلسلة من الأحداث تشبه الرواية.

أما المرحلة الثانية التي تمتد من بعد الحرب العالمية الثانية إلى وقتنا الحاضر
فإنها تميزت بتنوع الثقافات عند الشباب السعودي؛ لأنهم رجعوا من البلاد الأجنبية،
وبعضهم تعلم اللغات الأخرى غير العربية عند ما درسوا في البلاد الأجنبية سواء كانت
عربية أم أوروبية، وقد تعرف هذا الجيل على الأعمال القصصية في تلك البلاد سواء
عن طريق الصحف والمجلات أو في أثناء إقامتهم لحصول العلم في تلك البلاد، وقد
أدرك الكتاب السعوديون بتلك الثقافات الجديدة والاطلاع الواسع على الأدب في
البلاد العربية الأخرى ماهية القصة وأنها ليست حكاية الكلام الجميل بل هي بناء فني

متكامل.

والقاص حامد دمنهوري هو أول من كتب قصة فنية في السعودية لذلك فإنه يعد رائد الفن القصصي السعودي الحديث وقد درس في مصر وأتقن اللغة الإنجليزية، وكان واسع الاطلاع على الأدب القصصي العربي والمترجم. وقد كتب حامد دمنهوري روايتين: الأولى بعنوان " ثمن التضحية"، نشرت في عام ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م)، والثانية بعنوان " ومرت الأيام " ونشرت عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م).

وقد استطاع الكاتب أن يصور البيئة الحجازية والحياة الأسرية المتوسطة في السعودية كما أنه صور ملامح التطور الجديد الذي حدث بعد الحرب العالمية الثانية وذكر العوامل الجديدة لتغيير العقل والفكر بسبب التعليم الجامعي خارج بلادهم.

وقد أدى الاستقرار السياسي والاقتصادي في المملكة إلى ظهور قيم حديثة في الأخلاق والحكم والحياة، وكان لابد من أن يعبر الكتاب عن أنفسهم بأقلام جديدة في اللون ومختلفة في الأسلوب. وفي هذا الجو ولدت القصة الفنية السعودية واستطاعت التلخص إلى حد كبير من الأسلوب السطحي وتنوعت اتجاهاتها الفنية فمنها الرومانسي ومنها الواقعي ومنها التاريخي ومنها الرمزي. وقد أدرك الكتاب السعوديون أهمية القصة كفن أدبي حديث، وأن بلادهم يخلو من هذا الفن فأخذوا يكتبون فيه مع أنهم لم يتمكنوا من الحصول على المهوبة القصصية فكانت محاولاتهم الأولى تفتقر إلى البناء الفني.

أما القصة القصيرة فقد شهدت ازدهارا ملحوظا في العقد الأخير من القرن العشرين في المملكة العربية السعودية، وقد كان جل ما يكتب وينشر في هذا الفن يدخل في إطار التجريب. يقول الدكتور محمد صالح الشنطي: " القصة القصيرة تعتبر من أكثر الفنون إثارة للانتباه في أدبنا المعاصر وذلك لكثرة إنتاجها" (٨).

والقصة القصيرة تعتبر من أقرب الفنون إلى الشعر؛ لأنها وجدت استجابة لحاجات المجتمع. وقد شهد عقد الستينات من القرن العشرين الميلاي انتشارا عظيما للقصة القصيرة حيث ظهرت مجموعات قصصية كبيرة في تلك الفترة؛ لظهور

تحولات اجتماعية وأزمات عالمية فيها، ولا يخفى أن الأدب له صلة بالمجتمع فكان من الطبيعي أن يحدث في الأدب شيء من التغيير وفقا لتحول حالات المجتمع.

والشكل الفني يتأثر بالواقع عند الكاتب ؛ لأنه يؤمئ إلى نظر الكاتب للعالم، ونؤكد على أن شيوع القصة القصيرة في الأدب العربي السعودي قد ارتبط بالحركة الاجتماعية لما انتقل الإنسان السعودي من الحياة البدوية إلى الحياة المدنية حيث بدأ المجتمع الحضري يتشكل، والقصة القصيرة في المملكة تستفيد من القصة العربية والعالمية عن طريق القراءات للثقافات العالمية، ويلاحظ أن القصة النسائية قد نشطت نشاطا ملحوظا وهذا أمر طبيعي في ظل ازدياد ثقافة المرأة وترقيتها في مدارج التعليم وانفتاحها على آفاق الفكر والثقافة.

والتحول الاجتماعي من أهم الموضوعات التي عالجتها القصة العربية المعاصرة ولكن هذا التحول في المجتمع السعودي قد كان ولا يزال أكثر سرعة وأشد حدة من التحولات الاجتماعية التي عرفتها البلدان العربية الأخرى ومن ثم فهو من أهم القضايا التي تناولتها القصة السعودية القصيرة المعاصرة.

ففي قصة إبراهيم الناصر "شبح المدينة" تصوير لأحاسيس الراعي البدوي الذي يتجر بالماشية نحو المدينة، وقد عرف العيش في صحرائه بين أهله وعشيرته واطلع على العيش في المدينة وحياتها السهلة ومباهجها وزخرفها، وجلس الراعي على بعد من المدينة وهو ينظر إلى قصور المدينة وهي تمثل في نظره مظاهر الجبن والخوف، وأن الناس في المدينة يحتمون داخل أسوارها ولا يرون مظاهر الطبيعة الخلافة التي أبدعها وسخرها لهم خالق الكون ولكن المدينة في نفس الوقت تمثل الوفرة في المأكل والملبس وكثيرا من الأشياء الأخرى التي يفتقدها البدوي في خيمته في قلب الصحراء ومع هذا كله فقد أدرك الراعي البدوي أن المدينة تسيطر على حياته أراد أم لم يرد وسيريح كثيرا وإن تعامل مع تجار الماشية.

لقد استطاع إبراهيم الناصر أن يصور هذا الصراع العنيف في نفس البدوي الساذج ولكنه رق له فأثر له الحرية وأنجاه من مخاوف المدينة (٩).

والقاص الأخر اسمه محمود عيسى مشهدي يصور لنا في قصة "امرأة للبيع" حالة المجتمع السعودي وتقاليدهم في الزواج، وهي قصة امرأة شابة لم يتجاوز عمرها ستة عشر عاما بعد أن ماتت أمها يوم ولادتها فعاشت حياة بؤس وقلق وكان أبوها فقيرا ينظر إلى بنته أنها نذير شؤم، وأنها المسؤولة عن موت أمها، ثم تزوج بأخرى بعد سنة، وكانت هي امرأة عاقرا فكانت تعذبها وتؤنيها؛ لأنها كانت تشعر بخيبة الأمل لعجزها عن الإنجاب وحرمانها من التمتع بنعمة الأمومة. وكانت تعمل خاطبة تبحث عن الراغبين في الزواج. فلما كبرت هذه الفتاة فإنها شعرت بان الخلاص من الحياة الشقية مع أبيها وزوجته قد اقترب، وأن فارس أحلامها سيأتي ويذهب بها إلى أرض بعيدة تنعم فيها بالحب والشباب... إلى جنة حاملة، تسعد فيها بكل ما كانت طفولتها الشقية محرومة منه فتسعد بالابتسامة العذبة التي لم تعرف طريقها إلى شفيتها منذ أن رأت عيناها النور وبالحنان الذي حرمت منه بسبب موت أمها وقسوة أبيها وتسلط زوجته، وبالعاطفة الصادقة التي لم ترها قط تشع من أعين الجيرة المحيطين بها. أشياء كثيرة كانت تتخيلها وتمنى نفسها بها ولكن المسكينة لم تكن تعلم أن هناك إنسانا آخر كان يراقبها بعين جائعة لا تعرف للرحمة والشفقة معنى وبقلب أسود قاسي لا يقيم للشعور أو العاطفة وزنا، كان ذلك الإنسان المشؤوم هو زوجة أبيها والتي أصبح جمالها وأنوثتها وشبابها في نظرها فرصة عظيمة لتجارها المريحة، فوجدت الفتاة في أحد الأيام تغيرا طارئا في معاملتها فعلمت أن شرا عظيما يستتر وراءه وفوجئت بأن رجلا طاعنا في السن استطاع أن يغيرها بماله فدفع لها مبلغا أكبر مما دفعه غيره مقابل التمتع بها، وافتراس أنوثتها وشبابها، فلو كان ذلك الرجل شابا مثلها حتى يوفر لها السعادة في الحياة ولكنه كان كهلا في السابعة والخمسين من عمره وكان متزوجا وله أولاد يبلغ عمر أصغرهم ضعف عمرها الذي يجاوز السادسة عشرة. فهذا الرجل لا يريد من الزواج بها تأسيس بيت يستقر فيه قلبه أو إيجاد أسرة تقر بها عينه، فهذا كان لديه الآن ولكنه استطاع أن يشتري هذه الفتاة بما له وهو لا يبالي بندان الضمير وتوسلات العاطفة أو الوجدان.

ولكنها لم تستطع أن تفعل شيئاً حتى أنها طلبت من زوجها في ليلة زفافها أن يطلقها ويرأف بقلها وبشبابها، ولكنه لم يجب لندائها، ولم يهتم بتوسلات قلبها، فعاشت تلك الفتاة حياة ضيقة لا راحة فيها ولا نعيم (١٠).

هكذا استطاع المشهدي أن يصور مأساة عائلية في المملكة في هذه القصة في عقد السبعينيات من القرن العشرين فهي تعالج مشكلة اجتماعية في تلك الفترة. وقد أسهمت النوادي الأدبية بنشر الكثير من إنتاج الأدباء ما بين شعر ونثر، فالنادي الأدبي بالمدينة المنورة يصدر مجلة "العقيق" وهي ملف ثقافي أدبي محكم غير دوري، ومجلة "الأطام" وهي دورية، وقد نشرت قصة قصيرة في العقيق (١١) بعنوان "وأغمض الضياء عيونه" للقاصة السعودية ليلى سعد الجبيري. وقد جاءت القصة على لسان كاتبها بصيغة المتكلم.

وهي قصة امرأة اسمها هيفاء تزوجت مع رجل اسمه أحمد فاستقبلته بالدموع؛ لأنها كانت تحب رجلاً آخر اسمه خالد منذ صغرها لكنه مات بعد خطبتها بشهر، حاول أحمد تسليتها ولكنها ما زالت تذبل في حب خالد. يكلمها أحمد ليزيل عنها الحزن ويرضيها فلعلها ساخطة عليه ولكنها لا تبرح صامتة لا تجيبه بكلمة، وفي أثنائها حملت هيفاء بطفل فكرهت هذا الحمل وحاولت الخلاص منه فاكتشف ذلك لأحمد فقال لها محتداً: " حتى إن كنت تكرهيني فلا يحق أبداً أن تحرمي طفلي من الحياة.. لن أغفر لك إن فعلتها ثانية". فانقطع حبل المودة والكلام بين الزوجين بعدها. وقد أحببت هيفاء أن تلد عند أمها ولكن زوجها لم يرض به حيث اتفق مع أمها على أن تحيء هي إلى بيته عند الولادة، وبعد شهر سقط الجنين من بطنها فاتهمها أحمد بأنها تعمدت إسقاطه وهي تحلف له أنها لم ترد التخلص منه ولكن زلت قدمها فوقعت على الأرض فصدقها أحمد ولكن طال صمته بعد ذلك وقلت محادثته مع زوجته، فازداد قلقها وفي أحد الأيام وجدها أحمد متعبة، فذهب بها إلى المستشفى فأخبره الطبيب بأنها حامل، فرجعا إلى البيت صامتين حتى دخلا المنزل وأخذ كل منهما مكانه، وفي الشهر التاسع جاء أحمد بتذكرة سفر لتذهب هيفاء إلى أمها حتى تضع عندها الحمل كما

كانت تحب دائما ولكنها رفضت الذهاب إلى أمها وصار كل منهما يتكلم مع الآخر. فقالت الزوجة هيفاء " لو أننا تحدثنا منذ البداية لما أساءت الأمور بيننا حتى هذا الحد. فقال أحمد: " علم الله أنني حاولت غير أن قلبك كان قلعة محصنة ولم يرق لي أبدا وأخذت هيفاء تبكي بكاء حارا حتى سقط جنينها وتأسف الزوجان، واعترفت هيفاء بحمها لزوجها.

وقد استطاعت القاصة ليلى الجني أن تصور ما يجري بين الزوجين من المشاكل، وأن هذه الأمور لها أسباب وعوامل وأنه يمكن معالجتها إذا أحسن كل منهما الظن بالآخر مع التفاهم وأن انقطاع الكلام يؤدي إلى ظنون باطلة ونهاية وخيمة.

من القصص الجيدة التي نشرت في العقيق ما كتبه الأستاذ محمد صالح البلمهشي بعنوان " حروف في الرماد" (١٢) وهي قصة فتاة يتيمة، مات أبواها وتركها في كوخ صغير مع طفل صغير فأخذت الفتاة تخرج كل يوم إلى ربات البيت لتعمل لديهن وتأخذ مقابل عملها ما تقيم به أودها وتطعم أخاها، هكذا عاشت الفتاة فقيرة معدمة حتى نحل جسمها ولم تستطع الحراك أياما وكان الصبي يصرخ ويبكي فتذكرت ابن عمها " فالج" رفيق صباها وأنيس وحدتها في صغرها وقد صار رجلا له شأن كبير لماله الكثير، وظنت الفتاة أنه سيبلغ في إكرامها فانطلقت إلى بيته فلما رآها فالج تنكر لها وتجاهل معرفتها وسبها سببا مقذعا وأغلق الباب في وجهها فانتحرت آمالها وخاب رجائها منه فعادت والدموع تنهمر من خديها وفي الطريق قابلها صديق أبيها وجاره الشيخ جابر فعرفها وأقسم أن يتكفل بكل ما تحتاجه مما يقدر عليه وينفق منه على أبنائه وأقسم عليها أن تعود إلى دارها وأن لا تخرج منه. فرحت الفتاة جدا وكان الشيخ يتفقدتها يوميا ثم زوّجها من رجل هو من خيرة رجال الحي فعاشت الفتاة مع زوجها حياة سعيدة راعية لأخيها وهي تدعو للشيخ جابر من أعماق قلبها كل يوم. وفي يوم من أيام الصيف طرق سائل محروم بابها فأسرعت إلى الباب وفتحته ؛ لأنها تجرعت هوان الحرمان وذل المسألة فذهلت الفتاة ودهشت عند ما فتحت الباب فإذا ابن عمها " فالج" واقف بالباب الذي طردها قبل سنوات، وقد تغير منظره وضعف جسمه وقد

عرفتها الفتاة مع أنه لم يعرفها فأدخلته في بيتها وبالغت في إكرامها فسألها فالج عن سبب اهتمامها به، وهل هي تعرف عنه شيئا، ولم تتجرأ المرأة أن تفصح له بالحقيقة ولكنه أصرّ وألجّ عليها فتذكرت حياتها السابقة وموقفه معها فلم تستطع أن تنطق بكلمة فمدت يدها إلى موقد نار أمامها وتكتب اسمها بحروف مقطعة في الرماد.

والقصة تصوير صادق لتلك البيئة التي يكثر فيها أهل الخير الذين يسعون إلى مساعدة المحتاجين ويحبون السعادة للآخرين كما تشير القصة إلى أن الإنسان لا يستمر به المقام في حالة واحدة فالغني اليوم قد يصير غدا فقيرا والعكس كذلك.

هناك بعض المؤلفين الذين يهدفون من كتابة القصص إلى إيقاظ الغفلة من البشر وتذكيرهم بلقاء ربهم بعد موتهم منهم كاتب إسلامي واعظ عبد الملك بن محمد القاسم، له كتابات دينية وأدبية، وهو عضو في رابطة الأدب الإسلامي. له قصص تمتاز بأسلوب جذاب ومؤثر في القلوب وقد استقى مادتها من كتب السلف أو من واقع الحياة، وكتب قصصا واقعية للعبرة والعظة. وجمع قصصه في كتاب سماه " الزمن القادم" وهي عبارة عن ثلاث مجموعات وقد تيسر لي الوقوف على المجموعة الأولى (١٣). والزمن القادم يرمزه المؤلف إلى ما ينتظر الإنسان من لقاء ربه فيحاسبه على ما صدر منه، فأولى له أن يهتم بلقاء ربه ويندم على ما فاته من طاعاته قبل أن لا ينفع الندم.

وقد ذكر في المجموعة حكايات واقعية معاصرة تعالج مشكلات الشباب من ذكور وإناث، وأورد فيها اثني عشرة قصة، فيها عبرة للمعتبرين وعظة للمتغربين.

ويحسن أن أذكر في نهاية المطاف عالما جهيدا وفقها بارعا وأديبا كبيرا وهو الشيخ علي بن مصطفى الطنطاوي، أصله من سوريا ولكنه انتقل إلى المملكة العربية السعودية فعاش بها حتى توفي بمكة المكرمة عام ١٩٩٧م (١٤).

وقد كان الطنطاوي في كل كتاباته يعني الإعلاء من شأن القيم الإسلامية والكشف عن الشخصيات الإسلامية العظيمة. وله قصة بعنوان "ثلاثون ألف دينار" يحكي فيها قصة فروخ أحد أهل المدينة في زمن بني أمية، وقد خرج فروخ هذا من

بيته ليجاهد في سبيل الله وودع زوجته ولم يترك لها راعيا إلا الله واستودها ثلاثين ألف دينار لتستعين بها على نوائب الدهر فانطلق في جيش الجهاد لا يلتفت إلى شيء وخلفته زوجته فكانت حافظة لنفسها ودينها واتضح لها فيما بعد أنها حامل من فروخ فزاد همها حتى وضعت ولدا سمته ربيعة، فربته وأحسنت تربيته وأحضرت له المعلمين من نقود أبيه ثم دخل في حلقات العلم في المسجد النبوي حتى تصدر للتعليم في المسجد وأبوه غائب لا تدري أمه عن خبره. وكان يجاهد في الغزوات ومضى عليه زمان طويل وابيض شعره وهو لا يدري عن أمر زوجه خبرا.

ثم أزمع العودة إلى المدينة ومعه قليل من النقود التي غنمها في الجهاد فشدد رحاله متوجّها إلى المدينة، فلما دخل المدينة بدأ بالمسجد فصلى فيه الغداة، وبعد الزيارة بحث عمن يعرفه من الناس ولكن السنين الطويلة قد أنسته من كان يعرفهم، فنظر إلى حلقة يحدث بها شاب فتعجب من حديثه وحسن خلقته فسأل عنه الناس. فقالوا له: ألا تعرف هذا؟ إنه ربيعة الرأي! فوقع في حيرة أكثر إذ لم يكن يعرف أحدا بهذا اللقب.

وخرج من الحلقة وهو يفكر هل يستطيع أن يهتدي إلى بيته؟ وهل يجد زوجته؟ وأسئلة كثيرة تتردد على خاطره. مثنى وهو يتعجب من تطور المدينة وتغير معالمها عن ذكراته حتى وصل إلى بيته فعرفه فطرق الباب فإذا شاب يخرج إليه وهو لا يعرفه، فيقول له: من أنت يا هذا الشاب؟ وكيف تدخل بيتا ليس لك؟ ودار بينهما النقاش فتدخلت أم ربيعة؛ لأنها عرفته فقالت: يا ربيعة، إنه أبوك فروخ! إنه زوجي. وهذا يا فروخ ابني منك الذي خلفته لما ذهبت إلى الجهاد وأنا حامل به.

وتنتهي القصة بعناق حار وبكاء من شدة الفرح فيدخل بيته واجتمع شمل الأسرة وفرح الزوجان بهذا اللقاء وبهذا الابن البار.

فالقصة تصوير رائع لحياة أسلافنا الذين أفنوا أعمارهم وأموالهم في الجهاد وفي تربية الأسرة والأولاد حتى صاروا قدوة حسنة لمن جاء بعدهم ونبراسا نيرا لمن يريد السير على نهجهم.

وقد تيسر لي الوقوف على مجموعة قصصية بعنوان " تلك التفاصيل " لقصاص شاب حسن حجاب الحازمي، أودعها المؤلف تسع قصص وهي : أقصى درجات الحبيبة، والصورة، والمسلم، والبحث عن راحة، ومن حقيبة سفر، والمطار، ونقيق الضفادع، وفراغ، وتلك التفاصيل. وهذه القصص اقتبسها المؤلف من واقع الحياة فإنه يعالج فيها معاناة الإنسان السعودي المعاصر ففي قصة " فراغ" من هذه المجموعة فإنه يلفت نظر القارئ إلى ظاهرة مأساوية، قد وقع فيها معظم المجتمع. وهي قضية استقدام الخادمت الأجنبيات من مختلف البلدان لاستخدامهن في الأمور المنزلية وفي رعاية الأولاد وحتى في تربيتهن، وهذا الفعل من الشعب السعودي قد جلب معه سلبيات كثيرة مما شوّه سمعة هذا المجتمع الرفيع الشأن والقوي البنيان، فقد بات الطفل السعودي مألوفاً بخادمتة أكثر من أنسه بأمه فالأم الحقيقية بالنسبة له هي الخادمة وليست هي الأم التي ولدته.

وقد نجح المؤلف في إبراز هذه الظاهرة في قصة " فراغ" (١٥) في أسلوب مؤثر، فقد أراد الأستاذ أن يتحدث إلى الطلاب عن أهم وأحب إنسانة في الوجود، وهي الأم فلا يوجد في الدنيا من يحب إنسانا ويخاف عليه كما تحب الأم ابنها وتخاف عليه. وهنا نجد أن الأستاذ يذكر للتلاميذ بعض الأدلة في فضل الأم، ومن ذلك ما جاء في الحديث أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله " من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال له: أمك، قال " ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال " أبوك" (١٦).

فالأم أكثر حبا وشفقة ورعاية وعطفا على الابن؛ ولأنها تعبت فيه ومعه أكثر من غيرها، فهي إذن أحق من غيرها بحسن رعايته وصحبته.

وبعد هذا التمهيد فقد طلب الأستاذ من التلاميذ أن يخرج كل واحد منهم ورقة ويكتب عليها اسمه، وبعد أن تهيأ الطلاب أملى عليهم الرسالة الآتية:

" إلى الإنسانية التي تحبني وترعاني وتتعب وتسهر من أجلي. إلى الإنسانية التي تعتني بطعامي وتغسل ثيابي وتحرص على نظافتي وتسهر على راحتي

وتربيني أحسن تربية وتحبني أكثر من أي إنسان في هذه الدنيا وتقضي كل وقتها معي، إلى...".

ثم قال لهم: أكمّلوا الفراغ وسلموا إلى أوراقكم لأتأكد من سلامة كتابتكم. فلما جمع الأستاذ هذه الأوراق وشرع في قراءتها أذهلته الأسماء الغريبة المكتوبة في الفراغ عند ما اطلع على هذه الأسماء "روكميني" "مماشاندي" "ساريتا" "هيرلينا" "براندي" "سفياي" "جيكي" "سابريتينا".

وقد صعق الأستاذ عند ما رأى ورقة ابنه الذي في آخر رسالته في الفراغ اسم خادمتة الإندونيسية "سوامي".

وهذا الأسلوب أراد المؤلف في هذه القصة أن يلفت أنظار المجتمع إلى قضية مهمة جدا، وهي الاعتماد على الخادمة في تربية الأولاد وإهمال الأم دورها التربوي للأولاد، وقد شاعت هذه الظاهرة بعد ما تعلمت المرأة السعودية وتمكنت من الحصول على الوظائف في الدوائر الحكومية، فلم يبق لديها الوقت لأولادها إذ أرهاقها العمل خارج المنزل فاحتاجت إلى خادمة لتعينها لأداء فرائضها في البيت فأصبح الأولاد يأنسون بالخادمة أكثر من أمهم، وصارت الخادمة أما حقيقية بالنسبة لهم.

الحواشي:

- (١) ابن حسين، محمد بن سعد: الأدب الحديث، تاريخ ودراسات ص ١/٢١٧
- (٢) الهاجري، سحبي ماجد: القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، النادي الأدبي بالرياض، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م. ص ٥٨
- (٣) بريون، دكتورة فوزية محمد: مقال بعنوان " حول القصة النسائية في الأدب السعودي" نشر في بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين ١/٢٩٣
- (٤) المصدر السابق نفسه ١/٢٩٤
- (٥) المصدر السابق نفسه ٢٩٦-٢٩٧
- (٦) القحطاني، دكتور سلطان بن سعد، الرواية في المملكة العربية السعودية، نشأتها وتطورها، ١٩٣٠-١٩٨٩م دراسة تاريخية نقدية،

ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٨م ص ٩٥

- (٧) الدرعي، إبراهيم بن حسن وآخرون: الأدب العربي للصف الثالث الثانوي، وزارة المعارف ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص ٦٣ وما بعدها.
- (٨) آفاق الرؤية وجماليات التشكيل، النادي الأدبي بمنطقة حائل ص ٥٦١.
- (٩) ينظر القصة بتمامها في "فن القصة في الأدب السعودي الحديث، للدكتور منصور إبراهيم الحازمي، دار ابن سينا للنشر، ط ٣/١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص ١٥٧.
- (١٠) المصدر السابق نفسه ص ١٦١
- (١١) المجلد الثاني، العددان، ٤ و ٣، محرم ١٤١٣هـ (١٩٩٢م وذي الحجة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ص ١٦٠ وما بعدها.
- (١٢) العقيق: المجلد العاشر، العدد: ١٩-٢٠، محرم ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ص ١٦٠.
- (١٣) القاسم، عبد الملك: الزمن القادم، المجموعة الأولى، دار الوطن للنشر بالرياض، ط ١/١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- (١٤) الجمني، دكتور زيد: مادة الأدب للسنة الرابعة في كلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مركز خدمة الطالب بالجامعة ص ٧٦ وما بعدها.
- (١٥) الحازمي، حسن حجاب: تلك التفاصيل، مطبعة النرجس بالرياض، ط ١/١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ص ٩٣
- (١٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (مع الفتح) ٤٠١/١٠